

علي الغلاف

كوابيس الحريري

بات سعد الحريري في الفترة الاخيرة مسكوناً بأحاسن التفرد بالزعامة السنية. لهذه الغاية، استبعد كل الرموز «المستقبلية» التي تشكل بالنسبة إليه تهديداً حقيقياً، فيما تمكنت شخصيات سنية من خارج التيار الأزرق من ترسيخ حضورها في الانتخابات النيابية الاخيرة. هي لا تشكل مصدر قلق للحريري وحسب، بل إنها اقرب ما تكون إلى الكوابيس التي تلاحقه. ففيما هو يتراجع شعبياً، اظهرت الانتخابات الاخيرة تقدم منافسيه، او على الأقل، ثبات شعبيتهم

مبسم زرق

بدافع الحاجة إلى التقاف جمهوره حوله، كان سعد الحريري، في ما مضى، يضور النواب السنة الخارجين عنه بأنهم لا يُمتثلون «ببنتهم»، ويأبى رافعتهم للوصول إلى مجلس النواب ليست سنية، بل يصلون من خلال تحالفاتهم السياسية، سواء معه أو مع خصومه. قبل تكليفه مجدداً بتشكيل الحكومة، كثر الحريري النغمة ذاتها، قال إنهم «وصلوا على أكتاف غيرهم»، هي نغمة يُمكن تصديقها في زمن القانون الأثري، فحسب. أما في ظل القانون النسبي، فلا ينفع تجريدهم من صفتهم التمثيلية، التي كانت جسر عبورهم إلى النيابة. اختلف مشهد اليوم عن عام 2009. فقد خاض هؤلاء انتخابات السادس

هل تفوز الكتلة السنية المعارضة بمقعدين في الحكومة الجديدة؟

من ايار 2018 ضمن لوائح هم كانوا على رأسها، وفازوا بالمقاعد التي كان يستولي عليها تيار المستقبل بقوة بلوكات القانون الانتخابي الأثري.

حين احتفل في بيته وبين جمهوره بالنصر - بعد أيام من الانتخابات - لم يقصد الحريري التعبير عن الفرح بالفوز، إنما الفرح بالحد من الخسارة. أكثر تواضعاً من الجميع كان، حين اعترف بأن ثمة خسارة في مكان ما (يوم أعلن أسماء نوابه الساجدين من وادي ابو جميل)، وأكثر واقعية، أيضاً، لم يحسبها كثيره بعدد المقاعد التي فقدها أو نالها. بل بعدد النواب - الخصوم (تحديداً السنة) الذين حاللهم الحظ. يشكّل هؤلاء مُخلّصاً سنياً يربط الشمال بالقطاع، ثم الجنوب وبيروت، ويضمّ زعامات مناطقية

الخسارة الموصوفة

تشير أرقام انتخابات عام 2009 إلى أن التصويت السنّي كان لا يزال في أوجه، ومرّة ذلك إلى جملة أسباب. أمّها التأييد الكبير الذي كان يتّبع به الرئيس سعد الحريري شخصياً ومن ثمّ تياره، وهذا الواقع بدأ يتبدّل تدريجياً منذ عام 2012. وبلغ ذروته في السنوات الأخيرة، حتى تُرجم في صناديق الاقتراع في الانتخابات الأخيرة. ففي مقارنة بين أرقام 2009 و2018، يتضح حجم التراجع في العاصمة. فقد نال مرشّح تيار المستقبل آنذاك الوزير نهاد المشنوق في دائرة بيروت الثانية 16,583 صوتاً، حيث بلغت نسبة الاقتراع 27.3 في المئة. إذ كانت تسوية اللوحة تشمل انتخابات هذه الدائرة التي لم تشهد معركة تُذكر. أما في بيروت الثالثة فقد حصد الحريري 78,382 صوتاً من أصل 103,243 مقترعين (الفائز الأخير على لائحته نال نحو 76 ألف صوت). بحسبة بسيطة، فإن الدائرتين الثانية والثالثة اللتين باتت غالبية أحيانهما تشكل دائرة بيروت الثانية في انتخابات 2018، سجّلتا أكثر من 92 ألف صوت للائحة تيار المستقبل وحلفائه عام 2009، في مقابل 62 ألف صوت حصلت عليها لائحة «المستقبل» هذا العام. وبالتالي، لا يمكن إحالة التراجع بنحو 30 ألف صوت في العاصمة إلى الجماعة الإسلامية التي كانت متحالفة مع الحريري قبل 9 سنوات. إذ لم يبل مرشحها، عماد الحوت، سوى 3938 صوتاً في أيار 2018. هذه الخسارة الحريرية الموصوفة، قابلها تقدّم خصومه السنة. أو على الأقل، ثباتهم على ما كانوا عليه. هنا تحديداً يكمن شعور الحريري بالقلق.



نجد هؤلاء في حشد أصوات تفضيلية من بينهم نفوف، تلك التي نالها معظم نواب المستقبل (مبلم الموسوي)

الحريري، عنوانها إنماء الشمال. مجرد وجود هذه الكتلة، يعني أن الحريري لم يعد قادراً على ادعاء أنه الزعيم السنّي الأوحد. لهؤلاء النواب توجهات سياسية بعيدة كل البعد عن المستقبل ومشروعه. لم يعد الحريري قادراً أيضاً على القول إنهم باتون برافعات شيعية أو مسيحية. ففي وقت شكّل فيه هو رافعة لكل نوابه، نجحوا هم في حصد أصوات تفضيلية من بيئتهم فاقت أحياناً تلك التي نالها نواب المستقبل.

على سبيل المثال، نال النائب عبد الرحيم مراد 15111 صوتاً، مقابل 8767 صوتاً لمرشّح تيار المستقبل محمد القرعاوي. وقد حل النائب عدنان طرابلسي في المرتبة الثانية (بالنسبة للمقاعد السنية) في دائرة بيروت، بعد الحريري بتبته 13018، وفؤاد مخزومي الثالث (11346 صوتاً). أما في طرابلس، فقد تقدّم ميقاتي على الجميع بحصوله على 21300 (أكثر مما ناله الحريري في بيروت).

كان الحريري يتوقّع مثل هذه الخروق، لكنه لم يستطع تقدير حجمها. حتى إن جزءاً من ترشيحاته حصل على هذا الأساس. لذلك ذهب إلى ضمّ مرشّحين سنة في عكار كانوا محسوبين على خصومه تفادياً لأي خرق (وليد البعريي ومحمد سليمان). هنا ثمة من يعتبر أن ضمانة وقوف هؤلاء إلى جانب خياراته الاستراتيجية أمر غير ثابت. الأمر نفسه ينطبق على البقاع الغربي، لجهة ترشيح محمد القرعاوي، مقابل خسارته صديقه المقرب زياد القادري.

خلط المشهد الأوراق السياسية، كما التوازنات القائمة. غداً خسارة تيار المستقبل ثلث النواب السنة، وفوز شخصيات أخرى محسوبة على فريق 8 آذار، أو هي في الوسط، يعني ذلك تقليص تمثيل التيار الأزرق في الحكومة الجديدة، لمصلحة هؤلاء المقرب زياد القادري.

ففي ظل الحديث عن أن كل أربعة نواب يحق لهم التمثل بوزير في الحكومة، معنى ذلك أن تكتلهم معاً سيحجز مقعدين وزارين على الأقل، وهو أمر صعب المخال لأنه يصعب جمعهم في إطار واحد أو أكثر، كما كان يأمل بذلك عبد الرحيم مراد.

بعد الانتخابات، يُمكن الحديث عن تعددية في التمثيل السنّي. هؤلاء يحجمهم عنوان واحد وأساسي وهو الخصومة للحريري، ومواجهته. سيكون هؤلاء بمثابة قوة ضغط على تيار المستقبل. سيدكرونه كل يوم بأنهم بقاسموهه صحن التمثيل السنّي، وخاصة عند أي استحقاق مفصلي، ولدى حصول أي انقسام عمودي في لبنان.

هذا الأمر سيفرض معادلات جديدة حالما تتغير الأوضاع والظروف الإقليمية. بمعنى أن حزب الله سيكون قادراً على تسمية أي شخصية سنية يتجمع حتى إن الحريري نفسه قال بعد زيارته له (جولة رئيس الحكومة المكلف على رؤساء الحكومات السابقين) بأن ميقاتي «هو خير حالة فريدة من نوعها، فهو كرس زعامته في البقاع الغربي من جهة، وله حساباته اللبنانية والعربية والخليج إلى تركيا والأردن وأوروبا وأميركا، وصولاً إلى علاقة مميزة مع حركة أمل وحزب الله، وعينه دوماً على رئاسة الحكومة في جيبه ورقة يرفعهها دائماً في وجه

جهد الصمد وإسامة سعد. هما الثابت «الشبان» الوحيدتان اللذان لم يُسميا سعد الحريري رئيساً للحكومة. خصاماتيار المستقبل، قبل وبعد الانتخابات النيابية، وبقياً مُتجانسين مع خيارتهما السياسية، بعكس «زملاء» آخرين لهما يعودون في كلّ مرة إلى تبني خيار الحريري، بحجّة «وحدة الصف»

ليا القرني

«هيدا الرجل بلّتي بيليس قميص نصّ كمّ، وعندو ذقن عرفقو»، السؤال، سنق الدعوة «التحريضية»، لعدم الاقتراع لهذا «الرجل» خلال الانتخابات النيابية. الجملة لسعد الحريري، حين توجّه إلى أبناء الضنية، في أدياً إياهم إلى حجب أصواتهم عن جهاد الصمد. منذ سنوات، وتيار المستقبل يُصوّب على «زُعم الضنيّة»، الذي نال 11897 من أصوات منطقته في 6 أيار 2018. هو، بلغة «المستقبل»، سوري الخيارات السياسية، وجزء من «سنة 8 آذار»، يُبسط اسمه بالحقبة السورية، على رغم أنّه خلال الانتخابات النيابية في 2000، واجه خيار غازي كتّان، وترشح ضدّ اللائحة التي ترأسها النائب السابق عصام فارس... ونجح، الصمد ليس وحيداً، «الحرب» نفسها، يتعرّض لها باستمرار أسامة سعد في صيدا، حجة ال الحريري لتجيش الناس ضدّه، أنّه يُريد بحالفه مع المقاومة، تغيير هويّة صيدا. تهيول طائفي ضد ابن العائلة الوطنية. قبل الدكتور أسامة، كان شقيقه الراحل مصطفى سعد، عرضة لسهام رئيس الحكومة الراحل رفيق الحريري. في دورتي 1992 والسنة 1996، لم يُوفر رفيق الحريري جهداً إلا وبذله مع «حلفائه» السوريين، من أجل حرمان مصطفى سعد من النيابة، بذريعة أنّه «عرفاتني». سعد ليس الأول انتخابياً في صيدا، كما هو الصمد في الضنية، ولكن لا يُمكن القفز فوق الـ9880 صوتاً التي نالها خلال الانتخابات الأخيرة (وتقابل 13739 لبيهة الحريري)، والحالة الشيعية التي حافظ عليها، على رغم التضييق والتجيش اللذين يمارسان ضدّه. أموز عدة، أخرى، تجمع بين الصمد وسعد. هما سليلاً عائليتين، وصلتا إلى البرلمان عام 1957 بعد تغلبهما على النكوات والملاكين في الضنية وصيدا. أسامة سعد نجل «السنّانجي» معروف سعد، لم ينشأ يوماً عن نصرة الفقراء، ولم تكن النيابة إلا وسيلة لخدمة «بلده». جهاد الصمد، ابن «الفلاح» مرشد الصمد، «كاسر» إقطاع ال الفاضل في الضنية، بالتعاون مع والد أحمد فقّت. لم يرث جهاد النيابة فقط، بل راكم حضوراً خدمتياً وتواصل مع أبناء الضنية. عزّزاً رصيده الشعبي، حالاتان مناطقيتان، توّرقان تياراً سياسياً مبتد على كامل الأراضي اللبنانية. وتغيّر المعطيات، فلن يكون بإمكانه الخروج معنأناً من يسنّي وفق الأكثرية لتولي رئاسة الحكومة، لا يمثل البنية السنية، نواب هؤلاء وصلوا إلى مجلس الضنية والوطنية الواضحة والصادقة.

ورغبة ال الحريري بد «الاستخثار» وتمثيل الطائفة السنية. العروبة، الصمد وسعد، حدّ التقائهما في نقطة مُعيّنة. أحجماً، خلال الاستشارات النيابية لتكليف رئيس الحكومة، عن تسمية سعد الحريري. عزّزاً بعيداً عن النواب الثمانية الآخرين، الذين يُمتثلون الطائفة السنية، من خارج حصة تيار المستقبل. قرار «انتحاري»، في لحظة «توافق وطني»، نائب الضنية، أدار الأذن لكلّ النضاح التي وُجّهت إليه، بأن لا يُقدّم على خطوة قد تكون حائلاً أمام تسميته وزيراً في الحكومة العتيدة. ولكن بالنسبة إلى الصمد، هو خاض معركة انتخابية ضدّ تيار الآخرين... باستثناء الحريري. فلماذا نتيجة دفعت فؤاد السنيورة إلى الاتصال به للتهنئة، مثل سياسيين آخرين... باستثناء الحريري. فلماذا تُسلف رئيس تيار المستقبل موقفاً إيجابياً، فيما هو يسعى إلى تخييبه ولا يعترف بحجمنا ولا يقف على خاطرنا؟ هذا كان رأي الصمد من تسمية الحريري. أما أسامة سعد،

انتقلت حملة مُنظمة من تيار المستقبل في صيدا، تتناول على معروف سعد

أصبحت ملاذاً وسقفاً سياسياً، لمعظم العائلات والأحزاب اللبنانية، ذات الغالبية السنية. قد يكون ال كرامي وعبد الرحيم مراد، استخفاءً في ذلك. فهما يعتبران سوريا والمقاومة وفلسطين، عنواناً لهذه العروبة، من دون أن يقطعوا شعرة معاوية مع السعودية. لا يعني ذلك، وجود تكامل في الموقف السياسي بين سعد والصمد. الأخير، مؤمن بد «الخط» من خلال عنوانه العروبي، يُعتبر حليفاً للقيادة السورية وحزب الله، ولكنّه لا يخوض حرباً «أيديولوجية» ضدّ الحرية السياسية. همّة الأكبر أن ينال أبناء الضنية حقوقهم، ولا مشكلة لديه، في نسج علاقة «طبيعية» مع سعد الحريري، شرط أن تكون من المد إلى النذ. فلا يسمح لرئيس الحكومة، أن يتعدّى على كرامته، ويُقلل من «قيمتها» في المقابل، بإخذ الخلاف بين أسامة سعد وتيار المستقبل، بُعداً «عقائدياً». نجل معروف سعد عزّز زعامته، ولدت من رحم قومي - اجتماعي، مُلتصقة بمشروع الفقراء، وهو ما يضع سعد، حتماً، بمواجهة رفيق الحريري، وورثته. من الهّم الاجتماعي ينطلق سعد، نحو الهدف الاسمّي: العروبة والفكرة الوطنية الجامعة. هو حليف المقاومة، من دون أن يجعله ذلك مُلتصقاً بها أو بالقيادتين السورية أو الإيرانية. سعد مُتقلّب من أي إطار ديني، لا بل يتبدّل كل محاولات التاطير السنّي أو جعل «السنة» كتلة مجموعة على أساس طائفي. إنّه سمجّ إضافي ليكون سعد «مؤدجاً» ضدّ ما، ومن بيئتهم.

«انتحاريان» في الضنية وصيدا



عنوان العروبة، كما يراه سعد والصمد. ليس ال فلسطين والمقاومة (مبلم الموسوي)

فلم يترك مزة «المنطق السنّي» يتحكّم بخياراته وقناعته الوطنية. رفض سابقاً الإنتماء إلى أي كتل عنوانه طائفي، وبالتالي لن يُسَمّى خصمه السياسي، رئيساً للحكومة، تحت أي حجة طائفية. موقف ينسجم مع تاريخ الرجل، إلا أنّه لم يمز على سلام. سريعاً، انطلقت حملة مُنظمة من تيار المستقبل - صيدا ضدّه، لا تستهدف أسامة فقط، بل تتناول على الشهيد معروف سعد.

أهمية خطوة الصمد وسعد، أنّهما يواجهان خياراً محلياً - إقليمياً. في حين برزت ازدواجية في مواقف نجيب ميقاتي، عبد الرحيم مراد ويفصل كرامي... وكُلّ «المستقلين السنة» الآخرين. يُريدون محاربة ال الحريري وفرض «الشراكة» على الساحة «السنية». يطرحون أنفسهم «زعماً»، يصل طموحهم إلى مستوى رئاسة الحكومة. ولكنهم، عند أول استحقاق، لا يشذون عن «الصف السعودي»، كلّ لحساباته الخاصة. يُعيدون تسمية الحريري، مُعزّزين دعائم «زعامته» عليهم، إلى حدّ إنكاره لهم ولأصل وجودهم!

انتقلت إلى رحمته تعالى
إلهام شحادة ريز
زوجها عبدو سعد
(مدير مركز بيروت للأبحاث والمعلومات)
بنتها: أمل وسلوى
أشقاؤها: إيلي، سمير، إدوار، ونخلة
ووريت في الثرى في روضة الشهداءين
أول أمس
تقبل التعازي بوفاتها اليوم، الثلاثاء،
في جمعية التخصص والتوجيه العلمي،
الرملة البيضاء، قرب مبنى أمن الدولة،
من الساعة الواحدة بعد الظهر
وحتى السادسة والنصف.